DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

الفلسفة البنائية ودورها في تطوير برامج تعليم الكبار

د. منال بنت صالح الشبيلي
أستاذ تعليم الكبار والتعليم المستمر المساعد، قسم السياسات التربوية، كلية التربية، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية
البريد الالكتروني: malshebeili@ksu.edu.sa

الملخص

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور الفلسفة البنائية في تعليم الكبار كنوع من التنمية المستمرة، وتوضيح التطبيقات التربوية للفلسفة البنائية في مجال تعليم الكبار ، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في شرح النصوص الفلسفية المتنوعة وتحليلها، ، وتوصلت نتائج الدراسة بأن تطبيق الفلسفة البنائية في برامج تعليم الكبار أمر مهم وفعّال خاصة للمتعلمين، حيث يعطي العديد من الفرص للمتعلمين لتنمية قدراتهم، فالمتعلم يبني معرفته ومفاهيمه بنفسه من خلال بناء المعرفة وتحليلها عن طريق خبراته السابقة التي اكتسبها من الواقع، ولذا يتبين الحاجة لإعداد مواد تعلمية تتصف بالتفاعلية؛ وذلك لتمكين المتعلمين من استخدام خبراتهم ومهاراتهم، كما توصي الدراسة تطبيق النظرية في الأنشطة التعليمية؛ من أجل تحسين تحفيز المتعلمين وجذب اهتمامهم.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة البنائية ، برامج تعليم الكبار، المتعلم الكبير.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

Constructivist Philosophy and its Role in Developing Adult Education Programs

Dr. Manal Saleh Alshebeili
Assistant Professor of Adult and Continuing Education, Department of Educational Policy, College of Education, King Saud University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: malshebeili@ksu.edu.sa

ABSTRACT

The study aimed to identify the role of constructivist philosophy in adult education as a type of continuous development, and to clarify the educational applications of constructivist philosophy in the field of adult education. The study used the descriptive analytical method in explaining and analyzing various philosophical texts. The results of the study concluded that the application of constructivist philosophy in adult education programs is important and effective, especially for learners, as it gives many opportunities for learners to develop their abilities. The learner builds his knowledge and understanding by himself through gaining knowledge and analyzing it through his previous experiences that he gained from life. Therefore, the need to prepare learning materials that are interactive is important to enable learners to use their experiences and skills to learn. In addition, we recommend using the constructivist philosophy in educational activities to improve learners' motivation and attract their interest.

Keyword: constructivist philosophy, adult education programs, adult Lerner.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

المقدمة:

يعدّ التعليم مطلبًا أساسيًا وضروريًا لتحقيق التنمية المستدامة، وذلك من خلال الاهتمام بالعنصر البشري؛ عن طريق تطوير مهاراته وإمكانياته بالتعليم والتدريب، فنجد أن الفرد المتعلم يلعب دورًا مهمًا وفعالًا من خلال مساهمته في العملية التنموية. وبما أن عصرنا الذي نعيش فيه هو عصر التقدم التكنولوجي والنمو السريع، فلابد أن تسعى المؤسسات التعليمية إلى إعداد الأفراد القادرين على مواكبة التطورات الحديثة، فالتعليم سبب رئيسي في تقدم وتطور المجتمعات.

تعد العلاقة بين التربية والفلسفة علاقة تكاملية منذ زمن بعيد، فكلاهما يشترك في اهتمامه بالإنسان بكافة نواحيه ويهدف لتحقيق مصلحته، فالفلسفة هي مجموعة الأفكار والتصورات والمبادئ، أما التربية فهي المجهود العلمي العملي الذي يحوّل هذه الأفكار والمبادئ إلى سلوك وممارسات للأفراد في حياتهم اليومية، وعليه تُعَدُّ الفلسفة مرشد التربية وممارساتها في المجتمع (الشبيني،2000م). وإذا ما عُدَّت الفلسفة عملية فكرية تأمّلية فالتربية هي عملية تطبيقية، ومن هنا ظهرت الكثير من الفلسفات التربوية التقليدية التي فرضت الكثير من الأفكار والتصورات والمبادئ التربوية على مر الزمن.

ففي الوقت الذي تهدف فيه جميع أنظمة التعليم في أغلب الدول إلى إكساب المتعلمين مستويات عالية من الكفاءة في الأداء والقدرة على استخدام مهارات التفكير، الأمر الذي يفرض حاجة ماسة لرؤية تربوية تشجّع المتعلّم على تبنّي مبدأ القدرة الذاتية والقياس الذاتي كأفضل فرصة للنجاح، حيث إن التعلم الحقيقي ذا الأثر الفعال يحدث نتيجة الممارسة والعمل؛ لذلك جاءت نظريات التربية والتدريس لتؤكد على ذلك. وتعد الفلسفة البنائية بنظريتها أحدث ما عُرِف من نظريات في التدريس؛ إذ تعمل على تحويل التركيز من التعليم على العوامل الخارجية التي تؤثر في تعلم المتعلم، مثل متغيرات المعلم والمدرسة والمنهج والأقران وغير ذلك من هذه العوامل إلى التركيز على العوامل الداخلية (العدوان وداود، 2016). فالبنائية في التعليم أيضًا تقوم على تحفيز المتعلمين بالتفاعل، والتواصل الاجتماعي، وتنمية معارفهم الخاصة، والتعلم الذاتي لمعارفهم، والانتقال بهم من تعليم المعلم إلى التعلم بشكل ذاتي (القحطاني، 2018).

وفي الوقت ذاته تعد الحاجة إلى تعليم الكبار من الحاجات المجتمعية المهمة في ظل ظهور العديد من التيارات التي تدعو إلى تغيير دور المعلم وتغييرات جذرية أخرى في التعليم؛ ليتناسب مع متطلبات العصر السريعة، وتساعد الكبار على التعلم والالتحاق بمتطلبات العمل وتصميم تعليمهم الذي يتناسب مع سماتهم استنادًا إلى العديد من المرتكزات التي يقوم عليها تعليم الكبار بحسب (زيتون، 2004)، ومنها (يتعلم الكبار من خبراتهم، تعليم الكبار يتسم بالمرونة، يتعلم الكبار ما يعدّونه مناسبًا لهم، يمثّل الوقت للكبار أهمية كبرى، يختلف الكبار فيما بينهم، تؤثّر التغيرات البيولوجية على الكبار في عمليات التعلم).

كل هذه المرتكزات إذا ما أُخِذَت بعين الاعتبار فإننا نرى التقاطع الكبير بينها وبين الفلسفة البنائية، الأمر الذي دعا للحاجة إلى توليفة بين التعليم البنائي وتعليم الكبار، ويعكس المبادئ السابقة مجتمعة توفير بيئات تعلم تعاونية وبيئات تعلم معرفية مرنة تشكّل أساسًا أهمية في تعليم الكبار وفق الفلسفة البنائية.

مشكلة البحث:

تتجه أغلب البحوث التربوية إلى الكشف عن المزيد من الركائز الفلسفية الحديثة وربطها بالتعليم، الأمر الذي يساعد على مواكبة تطورات العصر الحديث، فالعالم يتغير يومًا بعد يوم مسرعًا، وهذا بدوره يجعل البحث عن التغيير حاجة ملحة، فالفلسفات القديمة باتت لا تتناسب مع أنظمتنا التعليمية، فوجَبَ البحث عن فلسفات جديدة تنعكس تطبيقاتها وملامحها في التعليم بشكل عام. وعليه كان للفلسفة البنائية دور لا يُستَهان به وخصوصًا في مجال تعليم الكبار، فالبنائية هي فلسفة تربوية تعني أن يقوم المتعلم ببناء نظامه المعرفي بنفسه، معتمدًا على دوافعه وما يختبره من تجارب ومعارف.

وانطلاقًا من مبادئ البنائية في تركيزها على المتعلم، والتأكيد على دوره التعليمي الرئيسي والاجتماعي والنظرة الإنسانية له، بالإضافة لفرضها محددات واضحة لدور كل من المعلم والمتعلم والمنهج والبيئة الصفية، كل هذا جعل منها فلسفة مهمة قادرة على تطوير التعليم ورفع مستوى العملية التعليمية وتحقيق التنمية المستمرة، ولما كان تعليم الكبار جزءًا مهمًا من عجلة التنمية المستمرة للمجتمع ككل، لذلك كان لا بد من العمل على البحث عن دور لهذه الفلسفة البنائية في مجال تعليم الكبار بكل أبعاده: (المعلم، المتعلم، المنهج، البيئة الدراسية)، وذلك اعتمادًا على الدور الذي يكون تأثيره واضحًا في مجالات التعليم كاملة.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

ومن هنا يتبلور لدينا السؤال التالي:
ما دور الفلسفة البنائية في تطوير برامج تعليم الكبار؟

أهداف الدراسة:

- التعريف بالفلسفة البنائية ومبادئها في التعليم.
- التعريف بدور الفلسفة البنائية في تعليم الكبار كنوع من التنمية المستمرة.
- البحث عن مقترحات لتطبيقات جديدة للفلسفة البنائية في مجال تعليم الكبار.

أهمية الدراسة:

- تبرز أهمية هذه الدراسة في التركيز على تطوير برامج تعليم الكبار باعتبارهم عاملاً في التنمية المستدامة.
- السعي لتوجيه أنظار المسؤولين لتطوير مهارات التدريس البنائي في برامج تعليم الكبار.
- لفت أنظار معلمي تعليم الكبار لأهمية ممارسة مهارات التعلم البنائي من أجل تحسين أدائهم التعليمي.
- إضافة علمية إلى التراكم الأدبي حول الفلسفة البنائية ودورها في برامج تعليم الكبار.

منهج الدراسة:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي في شرح النصوص الفلسفية المتنوعة وتحليلها، سواء الكتب أم الدراسات سابقة التي استفادت منها.

مصطلحات الدراسة:

الفلسفة البنائية اصطلاحًا: عرَّفَها زيتون (2007، 120) بأنها: "عملية استقبال، تتضمن إعادة بناء المتعلمين لمعانٍ جديدة داخل سياق معرفتهم الحالية مع خبراتهم السابقة وبيئة التعلم؛ إذ تمثل كل خبرات الحياة الحقيقية والمعلومات السابقة". وعُرِّفَت أيضًا بأنها: "الطريقة التي يقوم الطالب من خلالها باكتساب العمليات المعرفية، ومعالجتها وتطويرها، واستخدامها في المواقف المعرفية الحياتية" (زيد وداود، 2015، 35).
وتُعرَّف إجرائيًا بأنها: جميع العمليات الفكرية التي تساعد المتعلم على بناء نظامه المعرفي وخرائطه المفاهيمية، بناء على اختبار العديد من المعارف والمهارات، والاعتماد على منظومته المعرفية السابقة.
برامج تعليم الكبار اصطلاحًا: "هو مجموعة من العمليات التعليمية أيًا كان مضمونها ومستواها وأسلوبها، سواء كانت نظامية أو غير نظامية، وسواء كانت امتدادًا للتعليم أو بديلًا للتعليم المقدَّم في المدارس والجامعات، والذي يتوسّل به الأشخاص الذي يعتبرون من الكبار في نظر المجتمع، والذي ينتمون إليه لتنمية قدراتهم، وإنضاج الوعي الاجتماعي، وإثراء معارفهم، وزيادة مؤهلاتهم الفنية أو المهنية، وتغيير إرادتهم ومسلكهم، مستهدفين التنمية الشاملة لشخصيتهم ومجتمعاتهم" (الحميدي، 1992، 29).
ويُعرَّف إجرائيًا بأنه: التعليم الموجَّه للبالغين بكافة أشكاله؛ من أجل مساعدتهم على التزود بالمهارات اللازمة، وإشباع احتياجاتهم، وتنمية قدراتهم؛ وذلك من أجل تعزيز التعلم المستمر مدى الحياة، والعمل الدائم على تمكينها ومشاركتها في تنمية المجتمع.

الإطار النظري:

بدأت ظهور الفلسفة البنائية كمنهج لأول مرة على يد الفيلسوف الإيطالي جيامبتسافيكو في عام 1710م في إحدى أطروحاته، والتي تحدَّث فيها عن بناء المعرفة، وعبَّر فيها عن فكرة أن عقل الإنسان يبني المعرفة، ولا يعرف ما يبنيه بنفسه، وقد أوضح (كانت) أن العقل ينشئ المعرفة وفقًا لتصوره ومقولاته، إلا أن هذه الصور والمقولات التي تنطبق على عالم التجربة لا تنطبق على عالم الشيء بذاته، وذكر أصحاب الفلسفة البرجماتية أمثال جون ديوي وليم جيمس بأن المعرفة ما هي إلا آلة أو وظيفية في خدمة مطالب الحياة، وأيضًا قدَّم جان بياجيه كيفية اكتساب المعرفة، إلا أن فون جلاسرفيلد والذي يعتبر أحد أعظم منظري الفلسفة البنائية بتأليف سيمفونية البنائية، ويعد أفضل من كتب عنها وعن أصولها عبر ثلاثة قرون من الزمان (زيتون وزيتون، 2003م)؛ وما أوضحه

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

فون جلاسرفيلد، 1989م أن الفكرة الأولى للبنائية ترجع إلى الإيطالي جيامبتسافيكو في مطلع القرن الثامن عشر، وتلاه ويتجنستين، 1985م، والذي أوضح أن الأفراد يقومون ببناء المعرفة بأنفسهم (زيتون، 2008م).

وتعتبر الفلسفة البنائية أحد أحدث المذاهب الفلسفية، والتي كانت بداية ظهورها في أوروبا، وكلمة البنائية تعود إلى أصل يوناني لاتيني، وتعني هيئة أو تكونيًا كليًا يضم عددًا من الجزئيات المترابطة. وفي بداية القرن الماضي ظهرت الوجودية لتبحث مشكلة الحرية، والتي لا شك أن البنائية استفادت من الوجودية والماركسية في كثير من أفكارها، ولكن في هيئة جديدة وبأسلوب جديد، وذلك بما يتفق مع طبيعة العصر الحالي، ولعل من أهم الظروف التي ساعدت على ظهور الفلسفة البنائية: السعي لتطوير العلوم الإنسانية لتلاحق تقدُّم العلوم الطبيعية، وتحليل للبناء الإنساني، وكشف للعلاقات الموضوعية التي تربط شتى أجزائه بهدف التحكم والارتقاء به (ناصر، 2001م).

وانتشرت هذه النظرية في السنوات الأخيرة، وكانت بدايتها منذ القدم على يد سقراط وأفلاطون وأرسطو الذين تحدّثوا عن تكوين المعرفة، فيرى الفيلسوف اليوناني أفلاطون أن الواجب على المعلمين مساعدة المتعلمين على تذكُّر المعرفة واكتشاف أفكار حيوية، بينما يرى سقراط أن على المتعلمين أن يستنبطوا أفكار المعلم من دون أن يذكر لهم شيئًا. ويمكن القول: إن الفلسفة البنائية كانت منذ زمن طويل من خلال عدة فلاسفة ومنظّرين، كان من أبرزها العالم جان بياجيه. ولقد اعتمدت الفلسفة البنائية على أربع نظريات، وهي (الدليمي، 2014، 14؛ زيتون، 2003)، (Merriam & Laura ,2014):

- نظرية بياجيه في النمو والتعلم المعرفي.
- النظرية المعرفية، والتي تركّز على العوامل الداخلية المؤثرة في التعلم من خلال معالجة المعرفة لدى المتعلم.
- النظرية الاجتماعية من خلال التفاعل الاجتماعي في القاعات الدراسية أو الميدان.
- النظرية الإنسانية والتي تركّز على أهمية المتعلم ودوره في اكتشاف المعرفة وبنائها.

مفهوم البنائية:

اختلف العلماء حول مفهوم محدد للبنائية، حيث نجد أن منظّري البنائية يعرِّفونها بتعريفات مختلفة، والبنائية ظهرت قديمًا في العلوم الطبيعية، لكن لم يعمل على تطبيقها كمنهج في كافة العلوم وخاصة التربية إلا حديثًا (الدليمي، 2014). يذكر زيتون (2003 ، 19) أن البنائية تُبنَى من خلال الخبرة والتعلم من خلال تفسير العالم، فهي عملية نشطة لعمل المعنى المبني على الخبرة والموقف الحقيقي، وهي طريقة تهدف إلى مساعدة المتعلمين على بناء مهارتهم الفكرية (المفاهيم، المبادئ، القوانين) في العملية التعليمية، وحل المشكلات، وعرض النتائج ومناقشتها واستعمالها في مواقف جديدة. ويشير زيتون (2003) أيضًا إلى أن النظرية البنائية تشمل على التعليم والتعلُّم معًا، بحيث يحدث التعلُّم داخل عقل المتعلِّم من خلال المواقف التعليمية ومشاركة الطلبة في أنشطة جماعية؛ من أجل تنمية الاستكشاف وحل المشكلات، ويكون المعلم بمثابة الموجِّه والمرشد لذلك.

ويمكن تقسيم مفهوم البنائية إلى قسمين (زيتون، 2007):

- القسم الأول: وينظر لها من الناحية الفلسفية كنظرية المعرفة (أبستمولوجيا)، بحيث قام جلاسرفيلد بوضع اللبنات الأساسية للبنائية كنظرية معرفية، اعتماداً على افتراضين أساسيين وهما: الافتراض الأول: أن المعرفة لا تُكتَسَب بطريقة سلبية، بل تكون بطريقة بنائية من المتعلِّم بحيث يبني المعرفة من خلال نشاطه وتفاعله حول البيئة. الافتراض الثاني: أن تكون عملية المعرفة متكيفة مع عالم الخبرة وإمكانية الاستفادة للمتعلم، وليس من خلال مطابقتها للواقع.

- القسم الثاني: ينظر لها من الناحية السيكولوجية كنظرية في التعلم المعرفي، ومؤسس هذه النظرية هو جان بياجيه، وتقوم على افتراضين، وهما؛ أولًا: أن التعلم يحدث من خلال تفاعل المتعلم مع بيئته، ويكون ذلك من خلال تفاعل معرفته الجديدة مع خبراته السابقة، فعملية التعلم عملية بنائية نشطة ومستمرة. ثانيًا: أن في كل مرحلة من مراحل النمو تتميز بقدرتها على أداء عمليات عقلية متعددة ومتنوعة.

وتشير القحطاني (2018) إلا أن الفلسفة البنائية تقوم على ثلاثة أشكال أساسية، وهي التي تمثّل توجهات عامة في المدرسة البنائية، وهي؛ أولًا: البنائية المعرفية، التي تركّز على الخبرات الفردية التي يتم بناؤها ذاتيًا ليصبح التعلم ذا معنى، وترجع هذا النظرية إلى بياجيه. ثانيًا: البنائية الاجتماعية، وتهدف إلى أن يكون هناك تفاعل بين

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

(المعلم والمتعلمين والبيئة والثقافة واللغة)؛ من أجل إجراء حدوث تعلم فعال، وتعود هذه النظرية لفيجوتسكي.
ثالثًا: البنائية الراديكالية التي تركّز على الجانب التكيفي في عملية التعلم وبناء المعرفة، يتزعّم هذه النظرية فون جلاسيرفيلد.
ويتفق معظم منظّري الفلسفة البنائية على مجموعة من المبادئ التي تعتبر الأسس لنظرية التعلم البنائي (القحطاني، 2018، زيتون، 2007، الدليمي، 2014) وهي:

- المعرفة القبلية للمتعلمين والخبرات السابقة، وهي شرط أساسي لبناء تعلم ذي معنى، من خلاله يبني المتعلم معرفته على الربط بين خبراته ومعرفته السابقة.
- يبني المتعلم المعنى ذاتيًا، فالمتعلم نشط واجتماعي، بحيث يُشكَّل المعنى داخل عقله من خلال تفاعل حواسه مع البيئة الخارجية، التي تساعده على تكيف المعلومات الحديثة بما لديه.
- عندما يواجه المتعلم مشكلة أو موقفًا، يحدث التعلم في أحسن وجه، بحيث يقوم المتعلم بتحديد المشكلة، ووضع فروض واختبارها حتى يصل إلى حل، فهنا يبني المعرفة بنفسه.
- يحدث التعلم عندما يعاد ترتيب الأفكار والخبرات الموجودة لدى المتعلم عند دخول معلومات جديدة؛ لأن التعلم لا يحدث ما لم يحدث تغيير في بنية الفرد المعرفية.
- لا يحدث تعلم للفرد وهو بمعزل عن الآخرين، ولكن يحدث من خلال تفاوض اجتماعي معهم.

ونستنتج من ذلك أن النظرية البنائية في التعلم تتناسب مع اهتمامات المتعلمين الكبار وحاجاتهم، بحيث تكون أهداف التعليم وغاياته متوافقة مع أهداف المتعلمين، كما أن بيئة التعلم يجب أن تكون متناسبة مع المجال المعرفي لديهم، وضرورة تبادل الأفكار والمعلومات مع زملائهم من خلال المجموعات (زيتون، 2007م).
وبناء على النظرية البنائية يمكن تحديد عدة خصائص بارزة لآراء البنائية، والتي يمكن أن يكون لها تأثير في المواقف التعليمية للكبار (الناطور، 2011):

- في العملية التعليمية يكون المتعلم مسؤولًا عن تعليمه، بحيث لا يُنظَر إليه على أنه سلبي.
- يجب أن تكون عملية التعلم نشطة، بحيث يكون المتعلم له دور في بناء المعنى.
- المعرفة تُبنَى فرديًا وجماعيًا، فهي باستمرار متغيرة، وليست خارج المتعلم.
- يكون للمعلم تأثير بتفاعله داخل الصف، بحيث يأتي ومعه مفاهيمه وآراؤه الخاصة بالتدريس والتعلم.
- تنمية التعلم يكون من خلال تنظيم المواقف داخل الصف، وتخطيط المهام بطريقة فعالة، بحيث يكون التدريس ليس نقلًا للمعرفة.
- يشتمل المنهج على مهام ومواد ومصادر تعمل على بناء المتعلمين لمعرفتهم.
- تشمل البنائية على آراء مختلفة حول طرق التدريس والتعلم، وطريقة تنفيذها في القاعة الدراسية، حتى تكون ملائمة مع المتطلبات الحديثة للمناهج، والتي تشير إلى أن أفكار المتعلمين سوف تتغير مع اتساع خبراتهم، وهنا يأتي دور المعلم في العملية التعليمية بأن يتفاعل مع المتعلم، ويثير الأسئلة، ويركز على التحديات والمشكلات الحالية.

أهمية الفلسفة البنائية في تعليم الكبار:

تعد الفلسفة البنائية الأساس في فهم جزء كبير من فلسفة تعليم الكبار، ويشير كاندي إلى أن "التعليم والتعلم عبارة عن عملية تداول تنطوي على بناء وتبادل المعاني الحية والمهمة للشخص، وخصوصًا عند المتعلمين الكبار" (Merriam & Laura ,2014).
وهناك بعض السمات والخصائص العامة التي تميّز المتعلم الكبير، وهي: قدرته على التعلم، بحيث لا يعتمد أثناء تعلمه على الحفظ والذاكرة القصيرة المدى، كما تعد الخبرة لدى المتعلم الكبير مصدرًا ذا قيمة للتعلم، وأيضًا حرص المعلمين على مساعدة الكبير؛ لأنه غالبًا ما يعاني من هاجس الخوف والقلق (الحميدي، 1997). فالكبار لديهم خبرات حياتية متنوعة، وقدرات متعددة تساعدهم على التعلُّم، وهذا ما يتفق مع النظرية البنائية التي تساعد الكبار على استكشاف قدراتهم ومواهبهم، والعمل على تنمية حاجاتهم من خلال توجيهم التوجيه المناسب؛ حتى تتطور قدراتهم بشكل أفضل، فمن خلال هذه النظرية يمكن جعل عملية التعلُّم أكثر حيوية؛ وذلك بدمج الخبرات

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

أو الذكاءات بشكل واسع وشمولي، وإشراك المجتمع والأهل في التعليم، مما يجعل العملية التعليمية أكثر فعالية؛ لكي تتحقق الأهداف التربوية بصورة فعالة.

أيضًا نرى أن الكبار لديهم أدوارهم الاجتماعية المتنوعة من خلال تعاملهم مع أفراد المجتمع، فيسعون للتعلم؛ من أجل تطوير مكانتهم الاجتماعية، وهذا ما يتوافق مع نظرية البنائية، وذلك من خلال التعامل مع الآخرين في مجموعات تتوافق مع ميولهم واهتماماتهم. كما أن الكبار يتميزون بالنضج العقلي والشخصي، ولديهم قدرات على التحليل والاستنتاج والملاحظة من خلال خبرتهم في الحياة، فلديهم القدرة على المقارنة والتصنيف والملاحظة.

والفلسفة البنائية تقوم على احترام خلفيات المتعلمين وافتراضاتهم ومعرفتهم السابقة، وتعزز الفهم المشترك بين المتعلمين من خلال فرص الحوار والمناقشة في مجموعات، وتحرص على أن تكون بيئة التعلم محفّزة للدراسة والتغيير، وتتحدّى أفكارهم ومعتقداتهم؛ من أجل تطوير فهمهم للمفاهيم والمعرفة، كما تهتم باستخدام التكنولوجيا في عملية التعلم؛ لذا لا بد من تطوير استراتيجيات التدريس وتوسيعها بشكل يتناسب مع خصائص الكبار، وفهمهم بصورة أكبر، واستيعاب الفروق الفردية بينهم، وتجاوز كسر ضيق التعلُّم لديهم، وخلق علاقة إيجابية حتى يرتقوا بهم، فيتحقق المستوى التعليمي المطلوب والأهداف المرجوة (شحادة ، 2012).

التطبيقات التربوية للفلسفة البنائية في تعليم الكبار:

تؤكد البنائية أن التعلم عملية بناء من خلال المعلومات الحديثة، ويؤولها على أساس المعلومات الموجودة سابقًا، فالبنائية ليست مجرد نقل معلومات، بل عملية تؤكد على دور العمل التعاوني والتفاعل الاجتماعي بين المتعلمين، كما أن اللغة المشتركة والثقافة تجعل المتعلمين يدركون الأشياء بشكل متشابه، بينما الخبرات الشخصية تكون مسؤولة عن اختلاف تفسير الأفراد ونظرتهم للأمور (زيتون، 2003م). فعلى ذلك، نجد أن البنائية تركِّز على أن ما يُبنَى يصبح ذا معنى، يجعل لها منظور خاص عن التعلم من خلال الخبرات الفردية (العدوان، الحوامدة، 2015 م). ويمكن تقسيم التطبيقات التربوية للفلسفة البنائية إلى ما يلي:

المحتوى وتدريسه: يتميز محتوى التعلم البنائي بأنه يُحدَّد من قبل المتعلمين الكبار من خلال معرفتهم، ويقوم على مبدأ تعددية الحواس "الذكاءات المتعددة، كما يشمل المحتوى على حل المشكلات في سياقات واقعية، على تكون الموضوعات تخاطب اهتمامات الكبار وميولهم، فأنه يختلف عن موضوعات تعليم الأطفال في المرحلة التعليمية نفسها (زيتون، 2003م). ويشير إبراهيم (2001م) إلى أن المنهج عند البنائيين مرتّب ومنظّم، بحيث تكون القضايا من الكلية إلى الجزئية، بمعنى من " أعلى للأسفل"، وتركز على الاستطلاع، واستنتاج المعرفة من الأفكار العامة والمجردة، وتكون عملية تطوير المنهج من قبل المتعلمين الكبار؛ لأنهم يمتلكون الخبرة الكافية لديهم. وأضاف زيتون (2004م) أن الأهداف تُصمَّمُ بطريقة إجرائية من خلال المشاركة الجماعية بين المعلم والمتعلم، بحيث يشمل على أهداف عامة يسعى جميع المتعلمين الكبار إلى تحقيقها.

المعلم والمتعلم: يلعب المعلِّم دور الموجّه والميسّر للمتعلّم، وتوفير بيئة تعليمية توضّح التباين بين الخبرات الحالية والخبرات الحديثة التي يمرُّ بها المتعلّم، بحيث تكون بيئة إيجابية تدفعه للتعلّم وتشجّعه عليه، فمن أبرز سمات المعلم أنه يشجّع على الاستقساء والتساؤل والحوارات بين المتعلمين، ويرى المتعلّم أنه صاحب إرادة، يقدِّم لهم مواقف تعلّم تتحدّى المفاهيم والخبرات السابقة لديهم (زيتون، 2003، 7). إضافة إلى أن المعلم البنائي يتميز بأنه يشجّع على الانفتاح العقلي، والحرية في التعبير عن الرأي، وإصدار القرارات، أيضًا يسعى بأن يكون مُنظِّمًا لبيئة التعلم، ويعمل على توفير وسائل التعلم مثل الأجهزة والأدوات المطلوبة، لتحقيق متطلبات التعلم من خلال المشاركة مع المتعلمين (الخوالدة، 2007م).

وتتضح مسؤولية المعلم المهنية في النظرية البنائية في مساعدة المتعلمين الكبار على المشاركة في عملية التعلم، كما يقوم على نقد أداء المتعلمين بطريقة موضوعية بنّاءة بحيث توفر للمتعلم التغذية الراجعة المستمرة، وتحفّز لديهم النقد الذاتي، وللمعلم في التعلم البنائي دور في توفير اتجاه إيجابي نحو الخطأ، فالمتعلم يتعلم من الفشل من خلال تفسيره لجوانب الخطأ، فيكون الفشل فرصة للتعلم وليست طريقًا للإحباط (2010، 191). فدور المتعلِّم الكبير في البنائية نشط واجتماعي عن طريق المناقشة والحوار والأخذ بوجهات النظر والتفاوض مع الآخرين، فالمتعلم يتبادل أفكاره مع الآخرين، ويربط أفكاره وخبراته سلفًا بموضوع الدراسة.

بيئة التعلم البنائي: تكون مرنة، وتساعد المتعلمين على التعلم من خلال أنشطة واقعية، وتتوفر فيها مصادر معلومات متعددة (زيتون، 2003م). ولا بد أن تكون بيئة التعلم بيئة تشجّع مستويات التفكير العليا، بيئة تشجّع على طرح أسئلة مفتوحة النهاية والحوار والمناقشات، والانهماك في الخبرات التي تتحدى الفرضيات (العدوان

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

ودواد 2016م). وفي هذ الصدد يؤكد زيتون (2004م) أن بيئة تعلم الكبار لا بد أن تكون خالية من التهديد، وتلبي احتياجات المتعلمين الكبار للتعلم بصورة أفضل، ويتحقق ذلك من خلال التواصل الإيجابي، سواء كان لفظيًّا أم غير لفظي، وخلق بيئة متشاركة مع الكبار في اختيار المحتوى وإدارة الصف، واختيار الأنشطة والأدوات المناسبة لهم، وجعلهم مستقلين في اختيار ما يتعلمونه، وتعوديهم على صنع القرار.

استراتيجية التدريس: يشير زيتون (2004م) إلى اختلاف التربويون في استراتيجية التدريس المتبعة في تعليم الكبار: هل تكون من خلال المحاضرة التقليدية أم عن طريق التعلم النشط؟ وقد توصل التربويون إلى رأي توفيقي هو الدمج بين المحاضرة والتعلم النشط، ومع ذلك فإن التعلم النشط هو الأكثر قوة بين المتعلمين الكبار؛ لما يتمتع من اتصال فعّال بين المتعلمين. ويؤكد الصغير (2010م) على أن استراتيجية التعلم التعاوني تُعَدَّ بلورة حقيقة لفكر وملامح المدخل البنائي، فالبيئة التعلم التعاوني تدعم بناء المعرفة من خلال التفاوض والمناقشات الاجتماعية، وتستخدم البنائية استراتيجية التعلم المتمركز حول المعرفة، فالمتعلم يطوّر المعرفة من خلال مواجهة خبرات جديدة وغامضة، ويسعى إلى فهم التناقضات وحلها من خلال ربط المعلومات الجديدة بالمعلومات السابقة، من خلالها تبنى المعرفية لديهم بصورة فعالة. وتؤكد البيئة البنائية على أهمية المجموعات التي تجعلهم يتفاعلون مع بعضهم، بحيث تصبح قاعة الدارسة مجتمعًا متفاعلًا للوصول إلى بناء المعنى بأنفسهم.

ويذكر الناطور (2011م) وجود العديد من الاستراتيجيات والنماذج التي اشتُقَّت من النظرية البنائية نفسها، تُوظَّف وتُستخدَم في العملية التعليمية لدى المتعلمين الكبار، ومن أبرز هذه النماذج والاستراتيجيات نموذج "ويتلي" للتعلم البنائي، وهو من أحد النماذج القائمة على الفلسفة البنائية، ويركز على وجود مواقف مشكلة وذات معنى، تساعد المتعلم على تنمية التفكير وحل المشكلات، ويتكون هذا النموذج على ثلاثة مكونات، وهي: مهام التعلم والتي تكون حول المشكلة، وتقود المتعلم إلى بناء تفكيره مستخدمًا الخبرات الحياتية، وذات معنى بالنسبة له. أما المكون الثاني فهو المجموعات المتعاونة، فهي تساعد على تطوير مهارات التعاون والاتصال بين المتعلمين من خلال اكتشاف المشكلة، ويكون دور المعلم موجهًا ومرشدًا لذلك. والمكون الأخير هو المشاركة، ويكون من خلال المناقشات بين المجموعات للوصول إلى الحلول والاتفاق عليها، وهذا يعمل على تعميق الفهم لديهم وتعديل فكرهم ونمو مهاراتهم الاجتماعية.

الأنشطة التعليمية المختلفة: تحتل مكانة رئيسة في العملية التعليمية، فهي تعتمد على الدور الفعال والإيجابي للمتعلم، حيث تساعد المتعلم على بناء الخبرات العقلية حول موضوع التعلم. ويشير العبد الكريم (2011م) إلى أن الأنشطة في النظرية البنائية تتميز بعدة مميزات، وهي: يتشارك المتعلمون بالأنشطة المتعددة والمختلفة، وتنمّي جميع الحواس، فهي فعالة ومثمرة لتحقيق هدف أو إعادة بنائه وتركيبه. والأنشطة غالبًا ما تكون محفِّزة، لأنها تنمِّي مهارات التفكير العليا لدى المتعلم، وتساعده على التعلم. ويذكر حسين (2014م) أمثلة على أنشطة ملائمة لتعليم الكبار: كتابة مقالات، جمع معلومات عن مواضيع مختلفة، البحث في المراجع عن معاني بعض الكلمات، العمل على كتابة السيناريوهات وتحويلها إلى حوارات، تشجيع المتعلمين على الكتابة الإبداعية والحرية في التعبير، الاستعانة بالخبرات الشخصية، تعلُّم مهارة معينة، التعامل مع الرسوم والأشكال البيانية، مشاهدة الصور، وضع خطة لزيارة ميدانية، استخدام الأصابع في تمثيل شكل معين، تقمص الأدوار، التمثيل.

التقويم في التعلم البنائي: يقوم التقويم البنائي على قياس المعرفة التي اكتسبها المتعلمون، والأنشطة التي ينخرطون بها، ولا يؤيد البنائيون الاختبارات، بل تكون عملية التقويم في سياق عملية التعلم ذاتها، بحيث يشترك المتعلم في عملية التقويم (ناصر، 2001م). يوجد مداخل متنوعة من تقويم أداء المتعلمين في النظرية البنائية وتكون بطريقة موضوعية، فالتقويم الأصيل هو تقويم يرتبط بمواقف الخبرة في الحياة، بحيث يرتكز على معايير يتم توضيحها للمتعلم، وهذا ما يساعدهم على الفهم والنظر في أدائهم، وبناء معارفهم على أساس من الوضوح، وشعورهم بالراحة والاطمئنان (الصغير، 2010م). ويؤكد زيتون (2004م) إلى أن التقويم في تعلم الكبار لا يكون بشكل نمطي، فهم يحتاجون تحديد إجراءات التقويم التي تتناسب معهم، وهناك ثلاثة مداخل تعاونية يمكن أن توضّح قاعدة التقويم لدى تعلُّم الكبار، وهي: اختيار أسلوب التقويم الذي سيُستَخدَم عن طريق قرار جماعي بين المتعلمين، وضع عقود التعلم من أجل توضيح الأهداف وخطط التقويم المتفق عليه، تزويد المتعلِّم بالعمل الذي أُنجِز من خلال أوزان نسبية عن أنشطة التقويم والدروس.

ومن التطبيقات التربوية الحديثة في الفلسفة البنائية في مجال تعليم الكبار:

تقنيات التعليم في تعليم الكبار: ما زال يقتصر التعليم في مدارس تعليم الكبار على استخدام الأساليب التقليدية في التدريس، وهذه الأساليب التقليدية لا تساعد المتعلمين على تنمية مهارات التفكير واتخاذ القرار، لذا وجَبَ على

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

القائمين على العملية التعلمية في مؤسسات تعليم البكار ضرورة البحث على طرق وأساليب جديدة تعمل على تنمية العقل، وتساعدهم على مواكبة الثورة العلمية؛ لأن التعليم القائم على التعليم البنكي وبرمجة العقول يجعل المتعلمين غير قادرين على التأقلم في القرن الحادي والعشرين (منصور،2016م).

وتعد التكنولوجيا ثورة حديثة في التعليم، حيث ساهمت الوسائل التكنولوجية في توفير أفضل طرق التعلم، خاصة إذا استُخدمَت كجزء لنظام تربوي، فالتكنولوجيا تساعد المتعلم الكبير على بناء خبراته، والحصول على معارف جديدة من خلال استخدام الوسائط الإلكترونية التفاعلية المختلفة، سواء كان ذلك بشكل فردي أم جماعي، وتأتي ميزة التعليم الإلكتروني من كونه يطرح ثقافة جديدة غير تقليدية، ترتكز على معالجة المعرفة وكيفية الاستفادة منها، وتوظيفها في الحياة العملية عن طريق استخدام التقنيات المتطورة، بحيث يكون التفاعل بين المتعلم ووسائط التعليم الإلكتروني: (النص، الصورة المتحركة، الصوت، الرسومات، الفيديو، بعض لغات البرمجة)، ويتم عرضها بطريقة تفاعلية؛ من أجل تزويد المتعلم بالمعارف والمهارات اللازمة في عصر التطور والانفجار المعرفي. فمثلًا: عند تعلم عمل أجهزة وأعضاء جسم الإنسان، يكون الأمر أكثر صعوبة عندما يكون التعلُّم بالقراءة فقط، غير أن المتعلمين بإمكانهم أن يتعلموا بطريقة أكثر فعالية واستيعابًا للمعلومات، واندماجًا في عملية التعلُّم عندما يجدون تطبيقًا عمليًا بالصوت والصورة، إضافة لإمكانية المتعلم مراجعة ذلك في وقت الحاجة لذلك (العباسي، 2010م).

وهناك طرق عديدة للتعلم عن طريق التقنية، كالتعليم عن طريق شبكات التواصل الاجتماعي، **ويُعرّفه** أبو النصر (2017، ص149) بأنه: "وسيلة للتواصل الإلكتروني عبر شبكة الإنترنت، من خلال استخدام الوسائط الإلكترونية؛ لتطوير قدرات الأفراد للاتصال بالآخرين**"**. ومن أشهرها: (توتير، تليجرام، البريد الإلكتروني). فهذه الشبكات أحدثت تغييرًا واضحًا في كيفية الاتصال وتبادل المعلومات وبناء المعرفة بين الأفراد، مما ساهم في دخولها في كثير من المجالات خاصة مجال التعليم، فأصبح هناك تعلم إلكتروني، وهذا أدى إلى استخدامها من قبل المعلمين كطريقة لتقديم الأنشطة والواجبات في العملية التعليمية، مما يدعم التعلُّم النشط، ويعمل على تحسين مهارات الكتابة، وتنمية التفكير الناقد، عندها يشعر المتعلم بالرضا عن نفسه. بالإضافة إلى الخرائط الذهنية الإلكترونية: ويتم تصميمها وإعدادها عن طريق برامج في الحاسوب، من خلال رسم مخطط يوضّح له المفهوم الأساسي من الأفكار الرئيسة والفرعية، وصورة شاملة عن الموضوع الذي سيتم دراسته أو مناقشته، بحيث تساعده على ترتيب الأفكار، واسترجاع المعلومات، وبناء المعرفة (حسن، 2013).

كما أن تقنية الواقع المعزز من التقنيات الحديثة الملائمة في التعلم البنائي للمتعلمين الكبار، ويُعرِّفه شحاتة (2016، ص172) بأنه: "تكنولوجيا تدمج الكائنات الافتراضية مع البيئات الحقيقية بصورة دقيقة وذات معنى، وتتيح للمتعلم الانغماس والتفاعل في الوقت الحقيقي". ويختلف عن الواقع الافتراضي بأنه يستخدم الواقع الحقيقي المحيط بالمتعلم الكبير، حيث يستطيع المتعلمون الكبار استشعار البيئة الحقيقية من حولهم بكائنات افتراضية (صور، نصوص، أصوات)، وهذا ما لا يستطيع القيام به مستخدمو الواقع الافتراضي الذي يحجب عنه البيئة الحقيقية المحيطة بالمتعلم. ونجد من خلال ذلك أن دخول الواقع المعزز في التعليم تسهّل على المتعلم عملية التعلم، وتزيد من دافعيته؛ لأنها تخاطب حواسه، وتتوسع لديه المعلومات والصورة، وتنمّي خبراته ومعارفه، وتلبي احتياجاته.

وبناء على ذلك، فالتكنولوجيا لها دور فعال في التعلُّم؛ باعتبارها "أدوات معلوماتية لاستكشاف المعرفة ولدعم التعلم البنائي" (القحطاني، 2014، 23)، وهي من الوسائل التي تؤدي إلى استثارة دوافع المتعلمين وتشجّعهم على عرض أفكارهم وخبراتهم.

ومن خلال هذه التطبيقات التربوية يتبيّن دور الفلسفة البنائية في الجانب التربوي (الصغير 2010، 191):

- البنائية نظرية فلسفية في التعلُّم وليست في التدريس، إلا أنها قدّمت معايير للتدريس الفعال، بحيث تستند إلى فلسفة تنظر إلى عملية اكتساب المعرفة وتعتبر عملية بنائية، تسعى إلى تطوير البنية المعرفية للمتعلم، من خلال فهم أساسيات المعرفة وحفظها في الذاكرة، واستخدامها بشكل نشط في فهم الظواهر المحيطة.
- التعمُّق والتوسُّع للدائرة المعرفية لدى كل المتعلمين؛ حتى يتمكنوا من تقديم الحلول، ويكونوا قادرين على حل المشكلات التي يمكن أن تقابلهم.
- رفع المستوى التحصيلي للمتعلمين، وتحسين مستوياتهم، وحثّهم على الاهتمام بالمحتوى العلمي.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

– استخدام النظرية البنائية مدخلًا للدراسة بطريقة جاذبة، بعدة طرق وأساليب مختلفة ومتعددة، مثل: الأنشطة، وأنماط البرامج التعليمية باستخدام الحاسب الآلي.

– إثارة دافعية المتعلم للإنتاج والابتكار من خلال ممارسة الأنشطة البنائية والعمل الجماعي، بحيث لا يشعر بالملل والإرهاق.

– المرونة والحرية في تدريس الكبار، وذلك من خلال اختيار طرق التدريس المناسبة لهم، وإشراكهم في عملية تحضير الدروس وتنظيمها وتعلمها.

مقارنة الفلسفة البنائية مع فلسفات تعليم الكبار:

تتباين تصنيفات المعلمين المختصين في تعلم الكبار في فلسفات التعلم، لكن من أبرزها: التوجُّه السلوكي، والتوجُّه المعرفي، والتوجُّه الإنساني، والتوجُّه البنائي. ومن خلال المقارنة نجد تقاربًا وتباعدًا بين هذه الفلسفات، فنجد الفلسفة البنائية تتعارض مع كل من الفلسفة السلوكية والفلسفة المعرفية، فالسلوكية تركِّز على المهارات والسلوك العلني، وتضع أهداف التعلم المطلوبة من غير مراعاة نوع المتعلم، وأن يتم اختيار نوع المتعزز فقط بما يلائم المتعلمين(Merriam & Laura ,2014). ويعتمد دور المعلم في الفلسفة السلوكية على تحديد الأمور التي تحقق هذه الأشياء، والتي تتحقق إذا استجاب المتعلم بطريقة معينة لمثير متحكم فيه، وهذا يعني أنه لا بد من تقديم مثير للمتعلم كي نحصل منه على استجابة بطريقة خاصة ومحددة مسبقًا، وكذلك يجب أن تكون قابلة للقياس. وتتم عملية ترتيب الأنشطة التعليمية بطريقة متسلسلة؛ لكي ينتقل المتعلم داخل هذه السلسلة في إطار عمليات متدرجة ومصممة بدقة كبيرة. وإلى جانب التعزيز يتم الاعتماد بشكل كبير على الحوافز والمكافأة التي تُقدَّم من الآخرين، وتعتبر من أهم وسائل تغيير السلوك (زيتون، 2003م).

أما الفلسفة المعرفية فتختلف عن الفلسفة البنائية، فهي تركز معالجة المعلومات في الدماغ، وتقوم على أن أساس المعرفة موجودة خارج العقل ويمكن نقلها للمتعلم، وتشبِّه المتعلم بجهاز الحاسب الآلي، فالمعرفة عبارة عن مدخلات ويقوم المتعلم بمعالجتها وتخزينها (Merriam & Laura ,2014)، فالفلسفة المعرفية تنظر إلى المتعلم على أنه يستجيب بطريقة ميكانيكية، بحيث يقوم بتنظيم المعرفة في صورة تجميعات منطقية، فيبني جسرًا بين المعرفة الحالية والمعرفة السابقة (زيتون، 2003م).

أما الفلسفة الإنسانية والتي تتميز بتقاربها من الفلسفة البنائية خاصة في دور المعلم، ترى أن المعرفة المكتسبة في التعلم الجيد هو التعلم الذي يقوم على الاستبصار، وفهم الذات والآخرين، وذلك لكون التعلم الإنساني يتضمن جميع خطوات التعلم ومراحله، والتي تبدأ بعملية التخطيط، في حين تقوم برامج التعلم على التحليل الذاتي، وبناء الفريق، وتقييم المتعلم، واستخدام مختلف الأدوات والتطبيقات والمداخل في تعليم الأقران. وفي الوقت نفسه يتمثّل دور المعلم في الاستفادة من الخبرات الواقعية والحياتية للمتعلمين، ويقوم بدمج حاجاتهم بتوقعاتهم، وتدعيم المبادأة والتعلم الذاتي والشخصي، وتقويم الحلم النقدي بالتفكير الإبداعي. وتقوم الأنشطة الإنسانية على تسهيل عمليات التعلم التعاوني والتفاوضي بين المعلمين والمتعلمين، وذلك في إشارة إلى وجوب أن تكون الأسئلة مثيرة، وتساعد الطالب على تكوين ارتباطات وعلاقات جديدة، وإظهار ما لديه من علم ومعرفة ومعلومات. ونستنتج من خلال ما سبق، أنه لا يوجد فلسفة أو نظرية واحدة خاصة بتعليم الكبار، لذا يجب على معلمي الكبار اختيار النظريات التي تتناسب مع أهداف الكبار، وبما يوافق ميولهم (مرسي، 1995).

الدراسات السابقة المتعلقة بالدراسة:

اتفقت العديد من الدراسات على أهمية الفلسفة البنائية في عملية التعلم، ودورها الفعّال للمعلم وكذلك للمتعلم في اكتساب المعرفة وبنائها، وقد تناولت بعض الدراسات أهمية استخدام استراتيجيات حديثة في التدريس كالتقنيات التكنولوجية التي تعتبر عاملًا أساسيًّا لخلق بيئة تعليمية نشطة بين المعلم والمتعلمين، ومن هذه الدراسات:

1. **دراسة الشهري (2017):** هدفت هذه الدراسة تقويم مهارات التدريس لدى معلمي العلوم في ضوء فلسفة التدريس البنائي، واختبار دلالة الفروق بين متوسطات درجة الممارسة وفقًا لمتغيرات الدراسة، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، وكانت أداة الدراسة عبارة عن استبانة مكونة من (31) فقرة، وعدد العينة مكون من (45)، وهم من معلمي العلوم بالمرحلة المتوسطة بمكتب التربية والتعليم بالمجاردة، وتوصلت نتائج الدراسة إلى أن درجة ممارسة معلمي العلوم ومعلماتها للتدريس البنائي كانت متوسطة، وأظهرت فروق دالة إحصائيًّا لمتغير المؤهل العلمي، وذلك لصالح الدراسات العليا، وأوصت الدراسة بعقد دورات تدريبية لمعلمي العلوم، لتعريفهم

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

بمهارات التدريس البنائي، وتدريبهم على إجراءات تعليم هذه المهارات لديهم، واسترشاد مشرفي العلوم بقائمة المهارات.

2. **دراسة منصور (2016):** هدفت هذه الدراسة إلى تقديم دراسة تحليلية للنظرية البنائية، وكيفية الاستفادة منها في مجال تدريس علم الاجتماع في المرحلة الثانوية، وقد استخدم البحث المنهج الوصفي التحليلي، واشتمل البحث على أربعة محاور رئيسة: المحور الأول قدّم دراسة تحليلية للنظرية البنائية، أما المحور الثاني فقدَّم النظرية البنائية وكيفية الاستفادة منها في دراسة علم الاجتماع، والمحور الثالث كشف عن معوقات تطبيق النظرية البنائية في تدريس علم الاجتماع بالمرحلة الثانوية وكيفية التغلب عليها، وأوضح المحور الرابع كيفية استخدام النظرية البنائية في تدريس علم الاجتماع بالمرحلة الثانوية، واختتم البحث بالإشارة إلى الهدف من النظرية البنائية (النموذج البنائي في التعلم)، وهو إيجاد استراتيجيات حديثة في التدريس تتحدى فكر المتعلم بدلًا من الاستراتيجيات التي تعتمد على التلقين والحفظ، وأوصى البحث بضرورة إصلاح طرق التدريس القائمة على الحفظ والتلقين والمستخدمة في المناهج الحالية.

3. **دراسة القحطاني (2014)**: هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أثر أشكال التكنولوجيا الحديثة وآثارها على ميدان التعليم، من خلال تتبع سلوكيات الطلاب أثناء استكمالهم لإحدى مشروعات الويكي التي صُمِّمت وفقًا لإطار النظرية البنائية، وتمثّلت أدوات البحث في الملاحظة المباشرة، ومقياس آراء واتجاهات الطلاب واتجاهاتهم الذي تكوّن من (11) مفردة، وتكونت العينة من طلاب الصف الأول الثانوي بمحافظة الطائف، وأشارت نتائج الدراسة إلى أن الويكي المصمم طبقًا لمبادئ النظرية البنائية وسيلة جيدة أمام الطلاب لعرض آرائهم والتعرف على وجهات نظر الآخرين، وأوصت الدراسة بضرورة إجراء مزيد من البحوث لدراسة سلوكيات الطلاب، وبحوث عن التعاون وبناء المعرفة تتناول الفروق بين البيئات الإلكترونية والطريقة التقليدية في دعم التعاون.

4. **دراسة Knapp (2013):** تهدف هذه الدراسة إلى التحقق من مستوى استخدام الممارسات التعليمية البنائية ومستوى كفاءة المعلم في ولاية فرجينيا الغربية في فصول العلوم الثانوية، فقد سعت الدراسة لتحديد ما إذا كانت العلاقة وجدت بين مستوى استخدام الممارسات البنائية وفعالية المعلم. وكانت منهج الدراسة هو المنهج المختلط، وتم استخدام أداة لجمع البيانات المتعلقة باستخدام نسخة من مقياس الكفاءة الذاتية للمعلم (TSES) بواسطة Tschannen-Moran و Hoy و Hoy (1998)، وقد تكوّن مجتمع الدراسة من معلمي العلوم الثانوية والمتوسطة في ولاية وست فرجينيا، وتوصلت نتائج الدراسة إلى الاستخدام المتكرر لمعلمي العلوم في ولاية فرجينيا الغربية للممارسات التعليمية البنائية وإلى مستوى من الفعالية العالية، والحصول على علاقة معتدلة ولكن مهمة بين مستوى كفاءة المعلم ومستوى استخدام الممارسات البنائية المختارة، وكشفت المقابلات العوائق التي تحول دون تنفيذ الممارسات الجديدة في الفصول العلمية.

وانطلاقاً مما سبق، نجد أن الدراسات السابقة تؤكد على إيجابية ممارسة المعلمين لتوجهات الفلسفة البنائية في تحقيق الغرض المرجو من العملية التعليمية، وأهميتها تنمية مهارات التفكير من أجل اكتشاف المعرفة وبنائها لدى المتعلمين، كما أوصت الدراسات باستخدام استراتيجيات حديثة واستخدام التكنولوجيا وتوظيفها في التدريس البنائي، وهذه جميعها توضح مدى فاعليتها بالنسبة لبرامج تعليم الكبار.

نتائج الدراسة:

نستنتج بأن الفلسفة البنائية في التعلم تتضمن عددًا من الأساليب التربوية الملائمة لاحتياجات المتعلمين الكبار في العملية التعليمية، والتي من أبرزها:

– تعتبر نظرية الأندراغوجيا أحد أساليب التربوية للفلسفة البنائية؛ فالمتعلم الكبير لديه القدرة على توجيه نفسه وبشكل مستقل، بحيث تكون البيئة ملائمة لتعلم الكبار، والاهتمام بالجوانب النفسية القائمة على التعزيز والاحترام والثقة بالمتعلم، فيشعر المتعلّم بالدعم والمشاركة في النقاش والأنشطة، والأهم من ذلك بأن محتوى المادة العلمية يكون وفق احتياجات المتعلم واهتماماته.

– تعتبر نظرية التعلم الذاتي أحد أساليب التربوية للفلسفة البنائية، من خلال الدور الإيجابي والنشط للمتعلم، بحيث تمكّنه من إتقان المهارات الأساسية اللازمة لمواصلة تعليمه. كما يكمن التعلُّم الذاتي في تدريب المتعلمين

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

على حل المشكلات، وبناء تراكيب جديدة يفسر فيها خبراته، وتعويدهم على تحمُّل مسؤولية تعليمهم بأنفسهم، وهذا يساعد على خلق بيئة تعليمية للإبداع.

– تعتبر نظرية الذكاء المتعدد لـ"جاردنر" أحد أساليب التربوية للفلسفة البنائية في التعلم من خلال مساهمتها في تقديم الدعم للمتعلمين الكبار، حيث تقوم بطرح مجموعة من الاستراتيجيات تقابل كل نوع من أنواع الذكاءات، حيث إن كل متعلم يمكنه التعلُّم وتطوير قدراته عبر ذكاءاته المختلفة، فمنهم من يكون (سمعيًا أو بصريًا أو رياضيًا أو حركيًا أو لغويًا أو منطقيًا)، ومنهم من يجمع بين عدة ذكاءات مختلفة "عدة حواس". فهذه النظرية تسهِّل على المعلم الكبير أن يستخدمها حسب قدرات المتعلمين الكبار وخصائصهم، وحسب طبيعة المادة وأهدافها، وبذلك تسهم في تطوير مخرجات العملية التعليمية.

– يعتبر التعلم الإلكتروني من أحد استراتيجيات الفلسفة البنائية الحديثة في التعلم، من خلال توفير فرص للمتعلمين الكبار في بناء المعرفة من مصادر غنية وثرية بالمعلومات بأساليب تقنية متعددة، بحيث تسعى إلى تحسن جودة التعلم وإعداد متعلمين كبار على مستوى من الكفاءة والقدرة على مواكبة التغيرات السريعة.

– قد تُسمَّى الفلسفة البنائية أو النظرية البنائية وكلاهما مرتبطان ببعضهما، فالنظرية البنائية تنطلق وتنبع من الفلسفة البنائية، وبشكل عام يُعرِّف إبراهيم (2001، 18) الفلسفة بأنها: "عملية عقلية متميزة، يستخدم بها الفرد عقله في التفكير في مجالات الحياة المختلفة ومكوناتها الأساسية". أما النظرية "فهي مجموعة من المسلمات أو الافتراضات أو المبادئ والقوانين التي تستخدم في تفسير حقائق معينة، إما نتيجة الملاحظة أو القياس"، ويتم بذلك تطبيقها واختبارها والتأكُّد من صحتها (العدوان، دواد، 2016، ص22).

الخاتمة:

إن تطبيق الفلسفة البنائية في برامج تعليم الكبار أمر مهم وفعّال خاصة للمتعلمين، حيث إن ذلك يعطي العديد من الفرص للمتعلمين لتنمية قدراتهم، فالمتعلم يبني معرفته ومفاهيمه بنفسه، والفهم هو أساس البنائية، فهناك حكمة تربوية تقول: "أسمع فأنسى، وأرى فأتذكّر، وأعمل فأفهم". ويتضح من ذلك أن المعرفة ليست مجموعة من المعلومات والوقائع المجهزة بحيث يأخذها المتعلم ويحفظها، بل هي على عكس ذلك يقوم المتعلم فيها ببناء المعرفة ويحللها عن طريق خبراته السابقة التي اكتسبها من الواقع، حتى تترسخ هذه المعرفة في عقله، وهذا ما نحتاجه في عصر ملئ بتطورات العلوم والمعلومات (زيتون، 2003م). ومن هنا يتبين الحاجة لإعداد مواد تعلمية تتصف بالتفاعلية؛ وذلك لتمكين المتعلمين من استخدام خبراتهم ومهاراتهم، كما يجب علينا تطبيق النظرية في الأنشطة التعليمية؛ من أجل تحسين تحفيز المتعلمين وجذب اهتمامهم.

وتعدّ هذه الفلسفة من الفلسفات التي أثبتت أن لها دورًا كبيرًا في الجانب التربوي والتعليمي؛ لأنها استوعبت الاختلافات الفردية بين المتعلمين الكبار، وفتحت المجال للكشف عن القدرات المعرفية والإبداعية الكامنة لديهم، والعمل على تنميتها في سياق علمي يتلاءم معهم.

التوصيات:

– تنظيم ورش عمل لمعلمي تعليم الكبار، ذوي الممارسات المهنية التقليدية، في أهمية الممارسات المهنية المتعلقة بنظرية التعلم البنائية؛ من أجل تغيير أفكارهم وقناعاتهم.

– الحرص على إعداد بيئة تعليمية للكبار بما يتناسب مع المنظور البنائي من الناحية الفنية والعلمية والتقنية.

– ضرورة استخدام مهارات الحوار الاجتماعي في العملية التعليمية، للأهميتها الكبرى في تعليم الكبار؛ لأنها وسيلة إلى حرية الرأي، والاعتماد على الذات، والتفاوض، والمشاركة الاجتماعية.

– ضرورة تشجيع المعلمين على استخدام نظريات وفلسفات تعليم الكبار المختلفة للتعلم في إنجاز أهدافهم التعليمية والتربوية.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

المراجع

1. أبو النصر، مدحت (2017). *التدريب عن بُعد بوابتك لمستقبل أفضل*. القاهرة: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
2. الحسن، عصام إدريس كمتور وعشابي، هناء عوض محمد نقد (2017). واقع استخدام الفصول الافتراضية في برامج التعلُّم عن بعد من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس: جامعة السودان المفتوحة أنموذجًا. *مجلة اتحاد الجامعات العربية للتربية وعلم النفس*، جامعة دمشق، 15(1).
3. حسين، محمد عبد الهادي (2014). *نظرية الذكاءات المتعددة*. القاهرة: دار الجوهرة للنشر والتوزيع.
4. الحميدي، عبد الرحمن (1997). *التعليم المستمر بين النظرية والتطبيق*. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.
5. الدليمي، عصام حسن (2014). *النظرية البنائية وتطبيقاتها التربوية*. عمان: دار صفاء للنشر والتوزيع.
6. الرواف، هيا بنت سعد (2002). *تعليم الكبار والتعليم المستمر المفهوم والخصائص والتطبيقات*. الرياض: مكتب التربية العربية لدول الخليج.
7. زيتون، حسن (2003). *التعلم والتدريس من منظور النظرية البنائية*. القاهرة: عالم الكتب.
8. زيتون، عايش محمود (2007). *النظرية البنائية واستراتيجيات تدريس العلوم*. فلسطين، رام الله: دار الشروق للنشر والتوزيع.
9. زيتون، كمال عبد الحميد (2004). تصميم التعليم للكبار: منظور بنائي. *العلوم التربوية*، جامعة القاهرة، 12(2).
10. الشبيني، محمد (2000): أصول التربية الاجتماعية والثقافية والفلسفية: رؤية حديثة للتوفيق بين
11. الأصالة والمعاصرة، دار الفكر العربي للطباعة، القاهرة، مصر.
12. زيتون، كمال عبد الحميد (2008). *تصميم البرامج التعليمية بفكر البنائية تأصيل فكري وبحث إمبريقي*. القاهرة: دار عالم الكتب.
13. شحاتة، نشوى رفعت محمد (2016). استراتيجية مقترحة لاستخدام تكنولوجيا الواقع المعزز في تنفيذ الأنشطة التعليمية وأثرها في تنمية التحصيل والدافعية للإنجاز لدى طلاب المرحلة الثانوية. *تكنولوجيا التعليم*، الجمعية المصرية لتكنولوجيا التعليم، 26(1).
14. شحادة، سحر حسن (2012). *بناء برنامج تعليمي مستند إلى الفلسفة البنائية وقياس فاعليته في*
15. الشهري، عبد الله بن زاهر بن أحمد وتمام، إسماعيل (2017). تقويم مهارات التدريس البنائي لدى معلمي العلوم في المرحلة المتوسطة. *مجلة العلوم التربوية والنفسية*، المركز القومي للبحوث، غزة، 1(6).
16. الصغير، أحمد حسين (2010). بعض مسؤوليات المعلم المهنية في ضوء النظرية البنائية: دراسة ميدانية في مجتمع الإمارات. *مستقبل التربية العربية: المركز العربي للتعليم والتنمية*، 17(65).
17. العباسي، عزة السيد والشبراوي، عبدالسلام، وصبري، راشد والقصبي، محمود (2010). "دور التعليم الإلكتروني في تحقيق أهداف التعليم المفتوح". *المؤتمر العلمي السنوي الثالث والدولي الأول: معايير الجودة والاعتماد في التعليم المفتوح في مصر والوطن العربي*، جامعة بورسعيد، مصر.
18. العدوان، زيد وداود، أحمد (2016). *النظرية البنائية الاجتماعية وتطبيقاتها في التدريس*. مركز ديبونو لتعليم التفكير.
19. القحطاني، محمد جبران محيي(2014). "أثر استخدام الويكي في سلوك الطلاب التعليمي واتجاههم نحو التعلم في ضوء مبادئ النظرية البنائية. *مجلة القراءة والمعرفة*، جامعة عين شمس، كلية التربية، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، ع(149).
20. القحطاني، نورة سعد (2018). *الأصول الفلسفية وتطبيقاتها التربوية*. الرياض: مكتبة العبيكان.
21. الخوالدة، محمد محمود (2013). *فلسفات التربية التقليدية والحديثة والمعاصرة*. دار المسيرة للطباعة والنشر.
22. مرسي، محمد منير (1997). *الاتجاهات الحديثة في تعليم الكبار*. القاهرة: دار عالم الكتب للنشر.
23. مرسي، محمد منير(1995). *فلسفة التربية اتجاهاتها ومدارسها*. القاهرة: دار عالم الكتب للنشر.
24. *معالجة المفاهيم البديلة في تعلم العلوم وتنمية التفكير التباعدي لدى الطلبة*. رسالة دكتوراه، جامعة عمان العربية، عمان.

DOI: https://doi.org/10.33193/JALHSS.101.2024.1042
ISSN online: 2414 - 3383
ISSN print: 2616- 3810
مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والاجتماع
Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com
Volume (101) March 2024
العدد (101) مارس 2024

25. منصور، سومية السيد محمد وزيدان، محمد سعيد أحمد، ومحمود، صلاح الدين عرفة (2016). دراسة تحليلية للنظرية البنائية وكيفية الاستفادة منها في مجال تدريس علم الاجتماع بالمرحلة الثانوية. *مجلة الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية*، الجمعية التربوية للدراسات الاجتماعية، ع(84).
26. ناصر، إبراهيم (2001). *فلسفات التربية*. الأردن: دار وائل للنشر والتوزيع.
27. الناطور، نائل جواد (2011). *أساليب تدريس الرياضيات المعاصرة*. دار غيداء للنشر والتوزيع.
28. Sharan B. Merriam & Laura L.(2014). *Bierema, Adult Learning: Linking Theory and Practice*, San Francisco, CA: Jossey-Bass (Wiley).
29. Knapp, Amanda Kristen .(2013). *A Study of Secondary Science Teacher Efficacy and Level of Constructivist Instructional Practice Implementation in West Virginia Science Classrooms*. *ProQuest LLC*, Ed.D. Dissertation, Marshall University.